السادات يعمل على كسب الوقت :

قالت انفاينانشيال تايمز (١/٥) فى مقال افتتاحى أن من الخطأ المبالغة فى خطورة عمليات الاحتجاج التى قام بها الطلبة هذا الأسبوع بالنسبة لنظام حكم الرئيس السادات . فالطلبة المصريون لهم تاريخ طويل من المظاهرات السياسية يرجع الى أيام الحماية البريطانية . وقد قصمت هذه الناحية من الحياة الجامعية ابان حكم ناصر الفردى ، وان كان هذا الهدوء قد تبدد بالمظاهرات العنيفة للطلبة فى المنصورة والاسكندرية فى خريف ١٩٦٠ . ومما لا شك فيه أن مظاهرات يناير الماضى كانت تمثل تحديا أكثر خطورة لنظام حكم السادات عن تلك التى وقعت مؤخرا .

ان مظاهرات العام الماضى كانت تتصل مباشرة بوعد الرئيس السادات الخاص بعام الحسم . وليس ثمة شك فى أن الشعور العام بالقلق مع الركود العسكرى والسياسى كانوا من بين العوامل وراء اضطرابات هذا الأسبوع . فقد كان المطلب الرئيسى ـ اذا ما حكمنا من غالبية الشعارات المرفوعة ـ هو المزيد من التحرر والديمقراطية ، والذى كان يمثل النغمة الرئيسية أيضا فى ١٩٦٨ .

الاحزان القديمة ...

ويبدو أن وراء الاحتجاجات الحالية ، توجد الأحزان القديمة حول نقص فرص العمل واحتمال قضاء فترة تجنيد طويلة بالنسبه لخريجى الجامعات . ومما زاد فى تعقيد الموقف صدور الاحتجاجات عن اليمين الاسلامى واليسار الماركسى فى نفس الوقت .

وكان الرئيس السادات قد أعلن مؤخرا أمام مجلس الشعب بأن اعطاء قدر من الحرية السياسية للطلبة لن يؤدى الى الفوضى . وربما لم تكن الاشتباكات التى وقعت مع البوليس مبررا لهذا الشرط ، الا أنه يمكن أن نفترض بأن آخر ما كان الزعيم المصرى يريده ، هو مظهر ذلك الانقسام العام . ومن المعتقد أنه (الرئيس) قد تحمل قدرا لم يسبق له مثيل من المناقشة والنقد فى مجلس الشعب الشهر الماضى ، على أمل أن يؤدى للتنفيس عن المشاعر المكبوته هناك الى نزع سلاح استياء الطلبة .

الامل المرجو ..

ولم يتضح بعد كيف سيسيطر الرئيس السادات على القوى التى أطلقها بمزيد من التحرر. فهو لا يزال يعمل على كسب الوقت . والأمل التالى الذى يلوح فى الافق هو مبادرة السلام التى تؤيدها أمريكا والتى لا ينتظر ان تأخذ شكلا ماديا قبل أواخر الربيع القادم على الاقل .

وفى نفس الوقت ، فان على الرئيس السادات ، الذى يعرف أن مصر لا يمكن ان تشكل تهديدا عسكريا حقيقيا لاسرائيل فى المستقبل القريب ، أن يضع فى اعتباره تلك العوامل فى مصر والعالم العربى التى تتشكك فى فرص تحقيق تسوية دبلوماسية وتحبذ الحل العسكرى .

السادات .. والقذافى ..

وقد كانت كلمات الرئيس القذافى يوم الاثنين الماضى ، عونا له فى هذا الموقف ، حيث سارعت وسائل الاعلام فى القاهرة الى ابراز تأييده لوجهة نظر الرئيس السادات بأن " دول المواجهة " لن تستفيد شيئا من الاشتباكات العسكرية المحدودة مع اسرائيل . بينما تم التغاضى عن الجوانب الهامة الأخرى فى خطاب القذافى ، مثل انتقاده لمصر وسوريا والاردن ولبنان لتفكيرهم فى تسوية سياسية مع اسرائيل والحد من نشاط حركة الفدائيين الفلسطينيين . وكلما استمر المأزق كلما زاد تأثير أصالة العقيد القذافى ازاء القضية الفلسطينية ليس بالنسبة للجامعات المصرية فحسب ، ولكن فى مجالات أخرى — وطبقا لنفس المعايير ، فان مركز الرئيس السادات سوف يصبح أقل أمنا .

مشاعر قلق مبهمة ..

اما جريدة التايمز (١/٥) فانها ارجعت اضطرابات هذا الاسبوع التى ادت الى اغلاق الجامعات الى عوامل أكثر شمولا من مجرد شكاوى داخلية خاصة بالجامعة .

فمن الواضح ان الطلبة المتظاهرين يشعرون بالقلق على مصير زملائهم المعتقلين لتوزيعهم منشورات زعمت المصادر الرسمية أنها ترمى الى "زرع الشكوك حول استقرار الموقف ، ودفع الطلبة الى القيام بأعمال ضارة بالجبهة الداخلية " .

ومع ذلك فان رد فعل الطلبة ازاء الاحداث قد يكون مجرد ظاهرة سطحية لمشاعر قلق لا يمكن تحديدها ، والتي تتصف عادة بحقيقة أن الطلبة لا يتفقون فيما بين بعضهم البعض حول أسباب شكاواهم أو علاجها .

وفيما يتعلق بمظاهرات الطلبة منذ عام نتيجة لانتهاء عام الحسم دون حسم ، فانه لم تصدر بعد أية قرارات حاسمة . فالاسرائيليون لا يزالون على القناة ، وهناك ضعف في الثقة في الروس ، كما أن الآمال الأساسية في قيام الأمريكيين بمبادرة في العام الجديد ، قد تبددت فيما يبدو نتيجة للتصريحات المتسمة بالثقة الصادرة عن اسرائيل بعد سلسلة الزيارات الوزارية لواشنطن .

عوامل القلق ..

وفي ذات الوقت ، لا يزال على الرئيس السادات ان يعالج حقيقة استمرار حالة الاستعداد في القوات المسلحة ، بينما يواصل المجتمع ككل حياته دون أن يتأثر بالنداءات المتكررة لحمل السلاح .

وهذا أمر محير جدا بالنسبة للطلبة . فضلا عن عدم تحديد موقف زملائهم من الخريجين السابقين بالنسبة للجيش . كما يزعم الطلبة في جامعة القاهرة بأن سياسات التحرر التي أدخلها الرئيس السادات قد تآكلت الآن بحيث عاد رجال الأمن يمارسون نشاطهم في الحرم الجامعي بدرجة مماثلة لما كانت عليه الحال من قبل .

وقد عاد جو من عدم الاطمئنان واليأس يسيطر على حياة الطلبة . ولا بد أن أحد العوامل الأخرى المؤثرة على آمال الطلبة ، يتمثل في المستقبل المهزيل الذي ينتظر معظمهم لدى التخرج من الجامعة .

ويمثل وضع عدم الحسم الذي تعيش فيه البلاد ، خلفية لشكاوى الطلبة — وهم في ذلك ، ليسوا الوحيدين في مصر الذين ينادون بوضع حد لهذا الموقف ، لكنهم يوصفهم طلبة ، فان صوتهم يرتفع عاليا عن الآخرين .

جماعات متنافسة ..

وجاء في رساله دانيد هيرست من بيروت للجارديان (١/٤) ان الطلبة في مصر اتبعوا نفس اسلوب المظاهرات المستخدم في يناير الماضي غير انهم لم يحققوا نفس أبعاد الاحداث التي وقعت في العام الماضي .

فلم ينجح الطلبة في الوصول الى ميدان التحرير الذي يضم المباني الحكومية الرئيسية ، كما تمكنت قوات الشرطة من حصر اضطرابات طلبة جامعة عين شمس داخل الحرم الجامعي ، ومن ثم حالت دون انضمامهم الى زملائهم من جامعة القاهرة على نحو ما حدث في العام الماضي .

وقال هيرست ان مظاهرات اليوم الاخير ستزيد عدد المقبوض عليهم ، رغم ان الحكومة قدمت للفتة تنم عن المصالحة فأفرجت عن بعض المحتجزين الاصليين . وطبقا لبيان الحكومة فان الاضطرابات قام بها " عصبة صغيرة " تهدف الى القضاء على " الوحدة الوطنية " ، غير انه لايمكن اخذ هذا التفسير على محمل الجد تماما . فبرغم ان الطلبة لايمثلون تيارا واحدا ، فلقد فشلت اتحادات الطلبة الرسمية في كسب ثقتهم .

وقد تعرضت هذه الاتحادات لمنافسة اتجاهات وتجمعات عديدة لاتصب في معين واحد رغم انها تمثل انعكاسا اكثر صدقا للحاله النفسية العامة .

ولقد بذلت جهود طلابيه في تشكيل ما يسمى " لجان الدفاع عن الديمقراطية " والمعتقد ان اليساريين والماويين بذلوا نشاطا ملحوظا في هذا الصدد . واصدرت احدى الجماعات بيانا وصفت فيه النظام بالفاشية ، واطلقت جماعات على نفسها اسماء " جماعة الايمان " و " رابطة محمد " والواضح أن في هذه الاسماء نزعة قذافية .

واضاف هيرست قائلا أن قلة من الطلبة ابدت معارضة ايجابية لتصرفات المتظاهرين . فقد اشتبك بعض الطلاب من جامعة الازهر مع طلبة الناصريين شمس الذين حاولوا اقناعهم بالانضمام اليهم .

السادات يتشدد تجاه المتذمرين :

يقول مراسل الجيروزاليم بوست في القاهرة ان الرئيس السادات أنهى ، قبل ثلاثة أيام من نهاية عام ١٩٧٢ ، صمته الطويل وذلك باعلانه الاستعداد لاحتمال نشوب حرب مع اسرائيل ، وتحذيره لشعبه بأنه في الوقت الذي يرحب فيه بوجود ديمقراطية حقيقية " فلن يعلو صوت على صوت المعركة " .

ولقد أظهر السادات قبل نهاية العام ماذا يعني بالضبط . فقد أنشأ في محافظات مصر الاربعة والعشرين لجانا تأخذ على عاتقها الاستعدادات للحرب . ويرأس هو نفسه " اللجنة العليا للمعركة " .

وبالرغم من أن على اسرائيل أن تأخذ التهديدات بالحرب بشكل جدي ، فان السادات مهتم أساسا بتثبيت سلطته على أمته التي ينتابها الشعور بخيبة الأمل . ولقد جاء حديثه الأخير عقب ثلاثة أيام من المناقشات التي اتسمت بتوجيه النقد بشكل لم يسبق له مثيل للحكومة ، بسبب فشلها في اتخاذ اجراء فعال ضد اسرائيل . كما تجددت الشكوى من الرقابة على الصحف موجة من الاضطرابات في الجامعات .

وبعد ٢٤ ساعة من حديث الرئيس السادات انتشرت الشائعات عن حدوث عمليات اعتقال جديدة . وقد تأكدت هذه الشائعات في " الاهرام " الذي صدر في اليوم التالي . ووفقا لصحيفة من صحف الطلبة فان عدد المعتقلين بلغ ٣٠ شخصا .

المسلمون المتعصبون ..

الا ان المجموعات الطلابية غير متفقة على الاطلاق في اتجاهاتها السياسية . ويتماطف كثير من المتظاهرين من خمسة من الفلسطينيين تم اعتقالهم في بداية ديسمبر بتهمة التخريب . ومهما يكن من أمر فقد كانت هناك مظاهرات مضادة عنيفة من جانب الطلبة اليمينيين ، من الاخوان

المسلمين ، احتجاجا على عمليات الاثارة المعادية لمصر من جانب الفلسطينيين والمتعاطفين معهم من الجناح اليسارى .

ويعتقد المراقبون أن الرئيس السادات نفسه يشجع سرا هذه العناصر اليمينية باعتبارها ثقلا مضادا للانتقادات الموجهة الى عدم اتخاذه اجراء عسكرى ضد اسرائيل .

هيكل يتعرض للهجوم ..

وهناك صورة مماثلة فى العالم الصحفى ، اذ ثمة شعور بخيبة الأمل بين صحفيى القاهرة بسبب عدم تحقيق الوعود السابقة باطلاق حرية الصحافة . فمرة أخرى ظهرت السلطة بشكل واضح فى اجتماع اتحاد الصحفيين عندما تحول فجأة من اجتماع لتقديم الاحتجاجات كما كان متوقعا ، الى مظاهرة لاظهار الولاء للرئيس السادات .

ومرة أخرى يمارس السادات مبدأ " فرق تسد " . حيث تجرى مشادة كلامية يهاجم فيها بعنف موسى صبرى واحسان عبد القدوس وهما من مؤيدى الرئيس السادات ، هيكل الذى كان يوما موضع ثقة ناصر .

ولكن فى الوقت الذى اتخذ فيه السادات وضع الهجوم على الجبهة الداخلية ، فانه شتت الاضطرابات ولكنه لم يزلها . فمصر لا تزال تدور فى اعماق اليأس . ان المنقذ لم يظهر بعد ، وليس فى هذا ما يثير الدهشة . اذ أن كل الطرق المؤدية للخلاص تمر عبر القدس .. ومن المؤكد أن السادات يريد انجازا دبلوماسيا ، يستلزم استعادة الأراضى المصرية . ومهما يكن من أمر ، فهو آخر مصرى يحتمل أن يدخل فى محادثات مع اسرائيل مهما كانت غير مباشرة .

وقد كتب احسان عبد القدوس ، المقرب منه يقول ، أن شعار الحكومة الجديد يجب أن يكون " لا مفاوضات الا بسعد الجلاء " .